البعد العجائبي في الرواية الجزائرية
- رواية مرايا متشظية لعبد الملك مرتاض-

أ/ شهيرة بوخنوف
جامعة تيزي - وزو

شهد الأدب الجزائري الحديث استلهاما للسرد العجائبي في مختلف مجالات الإبداع ولاسيما الجانب الروائي الذي عرف في الآونة الأخيرة استلهاما وحضورا فعالا للعجائبي الذي يعد من الأشكال الجديدة في التعبير، ومن بين الروائيين الجزائريين الذين استلهموا الظواهر العجائبية في أعمالهم الروائية، نجد عبد الملك مرتاض في روايته "**مرايا متشظية**"، الذي حاول جذب ولفت انتباه القراء باستخدام أشكال التعبير الشفوي من أساطير وحكايات وظواهر أخرى عجيبة، من هنا نتساءل: هل استلهمت الرواية الجزائرية الخطاب العجائبي؟ أو بصيغة أخرى: هل للخطاب العجائبي حضورا في الرواية الجزائرية؟ وأين يكمن البعد العجائبي فيها؟ هذا ما سنحاول توضيحه في مقالنا المختصر.

عرض المدونة: إنّ رواية عبد الملك مرتاض "**مرايا متشظية**" عبارة عن مجموعة من القصص الأسطورية والحكايات العجيبة، تدور أحداثها حول سبعة روابي كلّ رابية يحكمها شيخ من الشيوخ يرى بأنّه هو الأحق بأن يكون شيخاً للروابي السبع وبأن له الحق بالزواج بالمرأة الجميلة "عالية بنت منصور". ولهذا السبب انتشرت بينهم ثقافة الاغتيال والقتل والدّم، فأصبحوا لا يرون سوى الدّم ولا يتلذذون سوى الدّم إلى درجة أنهم يعتقدون أن الطوفان الذي ينذرون بمجيئه سيكون طوفان دّم لا طوفان ماء. إنّها رواية ينعدم فيها التواصل فشيوخ الروابي السبع يكذبون بعضهم البعض، يرفضون الحوارات والنقاشات العلمية، همهم الوحيد هو القتل والاغتيال.

أما عن نهاية الرواية فكانت متشظية "كالمرايا المتشظية"، إذ وردت عدة روايات مختلفة، فإحدى الروايات تقول، إن كلّ الروابي أُهلكت بطوفان الدم الموعود ولم يبق منهم سوى من كان يتعبد الله مخلصا في جبل قاف وقصر عالية بنت منصور الذي حمله الجبار جرجريس – بمجرد أن أحس بوقوع الطوفان– على جناحيه فأعاده إلى جبل قاف، أما الرواية الأخرى فتقول إن جميع أهل الروابي هُلكوا

بزلزال إلا الذين كانوا يرفضون الاغتيال، إذ فتحت لهم أبواب عالية بنت منصور فدخلوا إليه، وكان مفتاح الدخول: لا اغتيال، لا ظلام، بل محبة وسلام[1].

العنوان: إنّ أوّل ما يلفت النظر في عنوان الرواية –مرايا متشظية– هو أن هناك غموضا وتشتتا كالمرايا المتشظية المتفرقة، يصعب الوصول إلى دلالاتها بقراءة واحدة، فهي عبارة عن مجموعة من النصوص المترابطة، يتداخل فيها عالم الأوهام والخيال بعالم الواقع الملموس، فهي تقوم بعكس سنن الحياة، إذ تجعل من الخير شرا ومن الشر خيرا... أي إن الرواية تجمع بين مختلف متناقضات الحياة.

ترتبط المرآة بالذات والذاكرة، فإذا ما نظرنا إليها تعود بذاكرتنا إلى الوراء فالشيخ تجعله يتذكر شبابه والشاب تجعله يتذكر صباه،... ولقد وفق إلى حد ما صاحب الرواية على اختيار العنوان لها، فهي تتناسب وإيّاه، فهو يجعل للرواية راويا شعبيا يعود بذاكرته إلى زمن البدء الميثولوجي، يتذكر الأسطورة العجيبة التي سمعها من الأسلاف الأوائل الأخيار، يقول: "اسمعوا يا «حظار»، يا أصحاب الحلقة الأبرار اسمعوا ما سأحكيه لكم من عجائب الأخبار، وما سمعته من الأشياخ الكبار، منذ غابر الأعصار، اسمعوا وعوا، وصلوا على النبي المختار..."[2] يتجلى لنا من خلال هذا القول، أن الخطاب العجائبي يكمن في الفولكلور الشعبي الحافل بفضاءات ميثية وخرافية عجيبة غير مألوفة.

تحاول الذات التواصل مع الشعب في وقت كثرت فيه الاغتيالات وطغت القسوة على القلوب، ولما وجدت التواصل مستحيلا ومنعدما فرضت قوتها وقوانينها الظالمة على الشعب الساذج الذي يتلذذ بالدّم والقتل. وهذا كلّه يعود بذاكرتنا إلى مرحلة العشرية السوداء التي عاشها الشعب الجزائري في فترة التسعينيات. فإذا كانت "المرايا المتشظية" يصعب، بل يستحيل شمل شظاياها المتفرقة المتكسرة فكذلك الذات في الرواية لم تستطع لم شمل الشيوخ السبع، ولم تستطع التواصل مع شعبها لكثرة الاغتيالات والدّم السائد المنتشر بين أهاليها فالرواية إذن كالمرايا المتشظية تماما.

البعد العجائبي في الرواية: قبل الولوج إلى عمق الرواية، ودراستها لاستخراج البعد العجائبي منها، نوّد أوّلا الوقوف عند مصطلح "العجائبي"، فما المقصود منه؟

أخذت كلمة العجائبي من مادة "عجب: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وجمع العَجَب: أعجابٌ... والاستعجاب شدة التعجب... والتعاجيب:

العجائب... والعجب الذي تلزم به الحجة عند وقوع الشيء وأعجبه الأمر: حمله على العجب... والعجيب: الأمر يتعجّب منه. وأمر عجيبٌ مُعْجِبٌ، وقولهم: عَجَبٌ عاجبٌ كقولهم: ليلٌ لائل، يؤكد به"[3]، ويعني هذا أن كلمة "العجائبي" المشتقة من كلمة "عَجَبَ" تعني عدم تصديق القول لعدم اعتياده، أي أنّه غير مألوف لقلة وجوده وندرته.

ووردت كلمة "عجب" في القرآن الكريم مرتين في سورة الكهف، يقول جلّ من قائل ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[4]، وفي الآية نفسها يقول: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيه إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَا سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا﴾[5] ترد كلمة "عجب" إذن في القرآن الكريم بمعنى أن المتلقي يصدق ما يحدث أي هو بمثابة تصديق من قِبل المتلقي.

أما اصطلاحا، فالعجائبي حسب تزفيتن تودوروف "هو التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر. إن مفهوم العجائبي يتحدد إذن بالنسبة إلى مفهومي الواقعي والمتخيل"[6]، فمفهوم العجائبي يتحدد إذن من خلال مفهوم الواقع والخيال. وهو يرى أنّه لكي تتحقق العجائبية يقتضي أن تكون شروط ثلاثة منجزة "أوّلا لابد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كعالم أشخاص أحياء وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق – طبيعي للأحداث المروية... أخيرا ينبغي أن يختار القارئ موقفا معينا تجاه النص..."[7] وهذا يعني، أنه ينبغي للنص أن يجعل القارئ يعتقد أن عالم الشخصيات الموجودة في النص هي كعالم أشخاص أحياء، وأن يتردد بين التفسير الواقعي والتفسير الخيالي، وفي الأخير عليه أن يعبر عن موقفه تجاه النص. وهو يرى أن هذه الشروط الثلاثة ليست متساوية، فالشرطان الأوّل والثالث يشترط تحقيقهما، أما الشرط الثاني فيمكن أن لا يتحقق.

إن المتمعن في الرواية يجد نفسه يسبح في عالم العجائبي، فكلّ أحداث الرواية تدور في فضاء اللامعقول، تبتعد عن العالم المألوف المنطقي، فعالمها مجهول لا منطقي، خياليٌ عجيب، فهي تعج بالظواهر العجيبة منها:

الجانب الأسطوري: إن الرواية بأكملها عبارة عن أسطورة* عجيبة، كانت تُروى في زمن البدء، وهو زمن أسطوري يحتوي على كلّ الحيوانات العجيبة كالدناصير والفيلة وبقر الوحش وحمار الوحش والتماسيح العملاقة والتنين والغيلان... وقد كانت أرضها خصيبة عجيبة ليس لها حدود، تحتوي على كلّ شيء من أشجار وأزهار وطيور وأنهار وعيون... والنّاس في ذلك العهد لا يأكلون

لحوم الحيوانات، لأنّهم كانوا أصدقاء لهم، وقد كانت كلّ الأشياء تعي وتفهم وتتكلم حتى أن الحصى كانت ترقص له الأرض بأكملها – وهذا اعتقاد سائد عند أغلب الجزائريين ولاسيما الأجداد الذين يعتقدون أن كلّ الظواهر والأشياء كانت تتكلم وتفهم وتعي في قديم الزمان– ولم يكن الناس يعرفون الضغائن والبغضاء، وذلك – طبعا– قبل مجيء العفريت جرجريس الجبار إلى الأرض العجيبة[8].

وتحتوي الرواية أيضا على أسطورة تعليلية عجيبة، وهي أن سبب انقراض الدناصير هو العفريت الجان جرجريس الجبار، إذ سفك دماء كلّ الدناصير فلم يترك ولو واحدا على سطح الأرض، ومنذ ذلك العهد انقرضت بسبب تلك الجريمة الشنعاء[9].

كما وردت أسطورة أخرى في الرواية، وملخصها أن أصل سكان الربوة البيضاء هم من القرود الذكية، وقيل إنّهم ليسوا كذلك ولكنّهم من سلالة عجيبة تنحدر من أبوين أحدهما إنسي والآخر جان، لديهم سبعة صبيان ماتوا جميعا إلا الشيخ الأغر الأبر شيخ الربوة البيضاء... وقيل إن أصل هذه السلالة البشرية من أسرة الدناصير المنقرضة[10].

وللرواية **شخصيات أسطورية عجيبة** تقوم بأعمال لا يستطيع الإنسان العادي القيام بها، وقد وردت شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، ومن بين الشخصيات الرئيسية نجد:

ــ **العفريت جرجريس الجبار:** أوّل من عمل على إفساد كلّ ما في الأرض العجيبة، إذ ذبح كلّ دناصير الغابة فترك الأرض نتنة، فلأوّل مرة شمّ الناس النتانة في الأرض بعد أن كانت جنة عجيبة تفوح منها رائحة زكية. وهو الذي جاء بقصر الجميلة عالية بنت منصور من جبل قاف فيما وراء السبعة البحور ووضعه على سطح الأرض، اختطفها ليلة زفافها، وظل يزورها مرة واحدة كلّ عام، حتى اهتدت إلى أن تقرأ عليه تعويذات جعلته يخشى الاقتراب بفعل بركتها[11].

ــ **عالية بنت منصور:** امرأة عجيبة خالدة تعطر أرجاء الأرض بعطر جسدها فتنت بجمالها فحول الشعراء دون أن يقتتلوا لأن القتل لم يكن معروفا عندهم، وذلك قبل مجيء جرجريس الجبار ويبدأ بسفك الدماء. وقيل أنها جاءت من جبل قاف* وقيل من أرض الأحقاف، جاءت بقصورها التي حملها مردة الجان تحت إشراف العفريت الطيار، تستمد وجودها من نورها، وخلودها من تفاحها، من أجلها اشتعلت نيران الحرب والدّم بين الروابي السبع[12].

ــ **شيوخ القبائل السبع:** وهم سبعة شيوخ، كلّ واحد منهم يحكم ربوة من الروابي السبعة، وهم شيخ الربوة الخضراء وشيخ الربوة البيضاء وشيخ الربوة الزرقاء وشيخ الربوة الحمراء وشيخ الربوة السوداء وشيخ الربوة الخالية وشيخ الربوة العالية. يرى كلّ واحد منهم بأن له الحق بالزواج بالمرأة الخالد عالية بنت منصور، وبأن يكون شيخا للروابي السبع، لا يعرفون سوى سفك الدماء وشربها انتشرت بينهم ثقافة الاغتيال والقتل والاغتصاب، فمن استطاع قتل أخيه قتله... يحكمهم قانون الغاب[13].

أما عن **الشخصيات الثانوية العجيبة** فنجد:

ــ **صبية عالية بنت منصور:** وهي صبية حسناء نورانية عجيبة، فاتنة، ساحرة آسرة، تمشي مختالة متكسرة كأنّها فرخ جان...لا هي جنية ولا هي ملاك ولا هي إنسان، وهي التي طافت بشيخ الربوة البيضاء في أرجاء قصر عالية بنت منصور وبسببها طرد من قصر عالية بنت منصور العجيب، إذ هم بها في قصرها الطاهر لولا وصول عالية بنت منصور في الوقت المناسب[14].

ــ **الصبية العجيبة الجنية:** كانت كاللّبؤة الشرسة، إذ كانت ذات قوة خارقة وشراسة وحشية، ذات جمال ساحر، ويقال أن هذه الصبية اللّبؤة لو ترى الشمس تطير مباشرة إلى أهلها ببلاد الجن، وقد تزوجها شيخ بني خضران عندما دفع إلى عين وبار[15].

ــ **دناتنا الجنية:** ابنة ملك الجن، وهي جميلة عجيبة، يشبه جسدها جسد صبية عالية بنت منصور، ورغم أنّها كانت من الجن إلا أن جمالها كان خلاقا، زوجها أبوها بشيخ الربوة البيضاء لأنّه هو من أنقذه من الموت، وقد اعتنقت الدين الذي اشترطه عليها شيخ الربوة البيضاء للزواج بها...[16]وغيرها من الشخصيات العجيبة.

إن الرواية لا تحتوي على شخصيات عجيبة فحسب، بل أيضا على ظواهر أخرى خارقة لا تقل عجائبية عن تلك الشخصيات العجيبة منها:

ــ **العصا السحرية العجيبة:** هي عصا مباركة، تتفجر منها الحكمة وبوساطتها استطاع شيخ الربوة البيضاء أن يلمّ على قصر عالية بنت منصور، حيث اتخذها مطية للوصول إلى القصر، وقد سرقها من شيخ الربوة الخضراء حين كان سجينا لديه، ومن خلالها أنقذ شيخ الربوة البيضاء ملك الجن[17].

ــ **عين الحياة:** هي عين الخلود، شربت منها الحسناء عالية بنت منصور فظلت خالدة، وهي عين تقع في سفح جبل قاف العظيم، يقيم فيها الأقطاب والأولياء والصالحون، لا شجار بينهم، فحتى الحيوانات بمختلف أنواعها لا تهاجمهم ولا تهاجم بعضها البعض، فيها كلّ خيرات النعيم، وقد شرب منها المفقود شيخ بني سودان الذي

فقدته الربوة السوداء في غابر الأزمان، وقدروا أن ينتظروه إلى آخر الدهر، لأنّه في نظرهم خالد بسبب شربه ماء الحياة[18].

ــ **العين العجيبة:** كان ماؤها يتخذ ألوانا مختلفة لا تحصى من لون أخضر وأصفر وأسود وأزرق وأبيض وأحمر، وطورا يتخذ شكله كلّ تلك الألوان مجتمعة واختلفت الأخبار حولها فمنهم من قال أنّها أزليّة يعود عهدها إلى عهد الدينصور الأوّل، ومنهم من ذهب إلى القول إلى أنّها العين الحمئة التي بلغها ذو القرنين ومنهم من قال أن الجن اتخذتها منذ قديم الزمان لتضاهي بها عين الحياة في جبل قاف، وقد اهتدى إليها شيخ الربوة الخضراء، فشرب منها واستحم فأصبح حكيما...[19]

ــ **القصر العجيب:** مبني من قوارير النور، مشيّد من الزجاج الفاخر، يشتمل على عيون العطر المسحور، كانت السواقي تجري من تحته، وكان معلقا بين السماء والأرض، وقد اختلف الرواة فيمن بناه، فإحدى الرواة يقول بناه مردة العفاريت قبل بدء الزمان، وهناك من قال بناه أخيار وصالحون، وهو يمتد على مدى البصر، تسكنه المرأة الخالدة "عالية بنت منصور" التي جاءت بقصورها التي حملها مردة الجان تحت إشراف العفريت الطيار جرجريس الجبار...[20]

ــ **الوحش والبعير العجيبين:** الوحش العجيب وحش مشوه الخلق، له سبعة رؤوس ونصف أذن ودون عينين، لا يمشي إلا على رجل واحدة، له سبعة رؤوس يشبه غول وادي السيسبان، لون نصف وجهه كلون الضفدعة البشعة، له رائحة كريهة ونتنة...أما عن البعير العجيب فهو البعير الذي ركبه شيخ الربوة الخضراء حين دفع إلى عين وبار في إحدى الليالي المظلمة، وهو بعير يبدأ سيارا، ثم ينتهي طيارا...[21]

ــ **أكل لحوم البشر وشرب الدماء:** إن العجيب في الرواية هو جعل أكل لحوم البشر حلالا، ولاسيما لحم الأطفال، يقول عبد الملك مرتاض في روايته "واذبحوا له صبيا رضيعا من الربوة الحمراء"[22]، وفي موضع آخر يقول "ولقد أصبح لحم الأطفال غاليا جدا بعد أن شاع في الروابي السبع أن من أكل لحم صبي غُفر لها ما تقدم من الذنب وما تأخر. وأنه ربما بات من الخالدين في الحياة الدنيا، بعد أن كان الخلود موقوفا على من يشربون من أنهار جبل قاف، أو عين وبار، أو عين الحياة في قصر عالية بنت منصور"[23].

وتعتقد الروابي أن أكل لحوم الأطفال يغفر الذنوب وقد يصبح آكله خالدا، لهذا انتشرت بينهم ثقافة القتل والاغتيال وشرب الدماء المسفوكة، يقول شيخ الربوة الخضراء: "ضاعفوا من الاغتيالات وسفك الدماء. لطّخوا ملابسكم وجدران أكواخكم بها. أشربوها صبيانكم حتى يتربّوا، إن شاء الله، على ثقافة الحقد والدّم"[24].

ـ **الألوان:** ينزاح عبد الملك مرتاض عن دلالة الألوان الحقيقية فيعطي لها دلالات أخرى غير مألوفة، إذ يقوم بتعديلها حسب السياق المستخدم، فإذا كانت الألوان الأبيض والأخضر والأحمر هي ألوان العلم الوطني الجزائري التي تدل على السلم والسلام والازدهار، فإنّها في الرواية تدل على الاغتيال والقتل وسفك الدماء "وهلا أضربتم عن ارتداء الملابس الحمراء الدالة على الدّم والخوف، والقلق والكدح والفقر والحرمان... كما تتحاشون ارتداء الملابس الخضراء التي لا تدل إلا على عامية التفكير وسذاجة الرؤية إلى الأشياء التي كان أخضرها يبيت حجابا واقيا من النار التي لا تفتؤون توقدونها فتؤججونها فتضرمونها فتخضؤونها حتى تبيت لها ألسنة ملتهبة محمرة متعالية في الفضاء..."[25].

فاللونان الأحمر والأخضر إذن يدلان في الرواية على القتل وسفك الدماء وهما لوني الربوة الحمراء والربوة الخضراء، والأمر ذاته بالنسبة للون الأزرق "وتجنبوا ارتداء الملابس الزرقاء التي ليست من ألوان الجمال. ولا مما ترتديه المرأة المؤنقة المتألقة. ولا المرأة العطرة المطرة ولا المرأة الفتانة الريعانة... ولكنه لون مجوس ذلك الوجه من الأرض ولكثرة إعجابهم بهذا اللون بات بعض نسائهم العاهرات الفاسقات المنحرفات الزانيات يفصلن تحت لونه فساتين متبرجة... فاللون الأزرق من الشيطان يا بني...فانبذوه وراءكم ظهريا، فهو لون المجوس والقردة والخنازير وعبد الطاغوت..."[26]

وإذا كان منادي الربوة البيضاء ينادي إلى تحبيب اللّون الأبيض الذي هو اللّون الناصع البياض، المتمثل في الصفاء والوفاء والمحبة والإخاء والسلام والوئام... فهو في الحقيقة – في الرواية – لون القهر والموت، والأمر نفسه بالنسبة للون الأسود "وهلا تحاشيتم أيضا الملابس السوداء الدالة على الحزن واليأس والقنوط والاستخذاء. والإحساس بالنقص، والشعور بالذنب إزاء العظيم المفقود... والسواد هو لون الموت والعذاب والفناء والأحزان والآلام والفتن والمحن والإحن والأتراح والأشباح... لون الظلام"[27]

والألوان رمز للشيوخ السبع والروابي السبع، فكلّ شيخ يرى بأن لون ربوته هو اللّون الأحسن المفضل، لهذا نجد كلّ واحد منهم ينقد ألوان الروابي المجاورة وينادي إلى تحبيب لون ربوته. ولكن الحقيقة أن كلّ ألوان الروابي السبع – حسب الرواية– ما هي إلا رمز للدّم والاغتيال والقتل، فهي ألوان لا تفسر بقوانين الطبيعة المألوفة المعترف بها، فإذا كانا اللونان الأخضر والأحمر حسب قوانين الطبيعة

المتعارف عليها رمزان للسلام والحب والمودّة، فهما ينزحان عن دلالتهما الأصلية فيصبحان رمزان للقتل والموت والدمار... وهلم جرّا.

ــ **العدد سبعة:** ورد العدد سبعة كثيرا في الرواية، فالمتفحص فيها يندهش لكثرة ورود هذا العدد المهم، وقد جاء في الأقوال التالية:

ــ يجعل المؤلف الروابي سبعة والشيوخ سبعة، يقول "حتى يبيت ما حول الروابي السبع كلّها أحمر قانيا..."[28] ، وشيوخ الروابي السبع هم: شيخ الربوة الخضراء وشيخ الربوة البيضاء وشيخ الربوة الزرقاء وشيخ الربوة الحمراء وشيخ الربوة السوداء وشيخ الربوة الخالية وشيخ الربوة العالية؛

ــ الزواج بسبع، يقول "هنالك سأزوجكم جميعا سبع، سبعا من صبابياه"[29]؛

ــ جاءت عالية بنت منصور من وراء السبعة البحور، ولها سبعة قصور ولإمام الربوة الخضراء أزواجا، تحت كلّ واحدة منهن سبعة أطفال إلا الرابعة فإنّه ترك معها ثلاثة فقط، ولكنّه كان ينوي أن يولدها سبعا كما سبعت له الثلاث السابقات[30]؛

ــ المسافة التي يستغرقها قطع الطريق من أعالي الربوة البيضاء إلى قصر عالية بنت منصور سبع ليال، وتنذير الربوة البيضاء للروابي الأخرى مهلة سبع ليال وحدوث الطوفان الموعود الذي ستمطره السماء يدوم ليالي سبعا ثم ليالي عشرا، ثم ليالي أخرى سبعا دون انقطاع[31]؛

ــ غلق سبعة أبواب من الحديد على شيخ الربوة البيضاء أثناء القبض عليه من قِبل الربوة الخضراء، وقد قضى فيه سبع ليالي، وحفظ شيخ الربوة الخضراء صحيحي البخاري ومسلم في سبع ليال، وتعلم بعض لغات الحيوانات في سبع ليال أيضا وخصص سبع ليال أخرى للعلوم الدنيوية[32]؛

ــ وجد شيخ القبيلة الخضراء نفسه حين طار به البعير العجيب أمام عيون سبع جارية؛ وتقديم قنينة دم منتقى من دماء سبعة أطفال كمهر في الربوة الحمراء لمن أراد أن يتزوج امرأة جميلة[33]... وهلم جرّا.

وبعد هذه الجولة الموجزة في رواية عبد الملك مرتاض "مرايا متشظية" توصلنا إلى ما يلي:

ــ إن الرواية مبنية على أحداث فوق – طبيعية، ففيها تقع حوادث كثيرة خارقة عجيبة لا يمكن تفسيرها بقوانين عالمنا الطبيعي المألوف. ويتجلى البعد العجائبي في ظواهر وأشكال كثيرة ومتنوعة كالشخصيات والمكان والحيوانات... وهلم جرّا؛

ــ إن الخطاب العجائبي مملوء بانزياحات عديدة، ففي رواية "مرايا متشظية" مثلا نجد أن معظم حوادثها هي انزياحات عن المألوف والواقع الملموس؛

ــ انفتاح الخطاب العجائبي على خطابات أخرى كثيرة ومتنوعة مثل: الخطاب الأسطوري والخطاب الديني والخطاب التاريخي والخطاب التراثي...؛

ــ لا يمكن تفسير الخطاب العجائبي – حسب رأيّنا – إلا بفهم وإلمام جميع جوانب الأدب الشعبي، ولاسيما الأساطير والحكايات الخرافية العجيبة، فمعرفة هذه الأساطير والحكايات بمختلف أنواعها يساعد القارئ على تفسير الظواهر الخارقة الغامضة في الرواية، أي أن تأويل النص يحتاج إلى معرفة شاملة للفلكلور الشعبي؛

ــ تدل الرواية على أن مؤلفها على إلمام بالتراث الشعبي الجزائري، فعبد الملك مرتاض قد أولى في روايته عناية شديدة للتراث الشعبي، فجلّ الرواية عبارة عن أسطورة يرويها شيخ لأهل الحلقة الأبرار؛

ــ ضرورة الاهتمام بالفلكلور الشعبي الجزائري وحث الروائيين على استلهامه في أعمالهم الروائية أو القصصية ولاسيّما وأن التراث الشعبي الجزائري قد عرف جمعا وتدوينا في الآونة الأخيرة من قِبل الباحثين الجزائريين الغيورين على مأثورات وطنهم.

الهوامش:

1ــ ينظر: عبد الملك مرتاض: مرايا متشظية، د. ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بوزريعة، الجزائر، د.ت.

2 ــ م، ن، ص03.

3 ــ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط3، مج1 ، دار صادر بيروت 1994، ص580ــ 581ــ 582.

4– سورة الكهف، الآية 09.

5– السورة نفسها، الآية63.

6– تزفيتن تودوروف، مدخا إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، ط1، مراجعة محمد برادة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص44.

7– م، ن، ص49.

* ــ **الأسطورة:** هي "حكاية إله أو بطل خارق، تحاول أن تفسر بمنطق الإنسان الأول وبخياله ظواهر الحياة في عالم موحش، يثير دائما السؤال من أجل المعرفة ويقترح الجواب". أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ط2، دار العودة للنشر بيروت، لبنان 1979، ص59. أما ميرسيا إلياد فيرى أنّها: "قصة مقدسة تروي حدثا وقع في الزمن البدئي، الزمن الأسطوري وبعبارة أخرى، تروي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل كائنات عليا، لا فرق إن كانت هذه الحقائق كليّة كالكون أو جزئية كالجزيرة أو نوعا من النبات".

-Mircea Eliade: Aspects du Mythe, Édition Gallimard, paris, France,1963, p16 .

8- عبد الملك مرتاض: م، س، ص5 ــ 6.
9- م، ن، ص 06.
10- م، ن، ص96 ــ97.
11- ينظر: م، ن، ص06 ــ26 ــ27ــ 28.
*ــ "ليس جبلا كسائر الجبال، وإنما هو أصل ومبدأ لجبال الدنيا قاطبة. بل إنّه بسبب صفاته تلك يصبح بحكم الكون ويكون له من القدرة ما يتيح له أن يخسف بالأرض ويحدث فيها الزلازل". محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها ط1، ج1، دار الفارابي، العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، بيروت، تونس 1994، ص241.
12- ينظر: م، ن، ص06 ــ07 ــ19.
13- ينظر: م، ن.
14- ينظر: م، ن، ص132، 136، 137، 142.
15- ينظر: م، ن، ص116 ــ117.
16- ينظر: م، ن، ص188 ــ189.
17- ينظر: م، ن، ص129 ــ 153 ــ171.
18- ينظر: م، ن، ص62 ــ89.
19- ينظر: م، ن، ص112ــ 113.
20- ينظر: م، ن، ص18 ــ19.
21- ينظر: م، ن، ص36 ــ 37 ــ112
22- م، ن، ص، 31.
23- م، ن، ص167.
24- م، ن، ص31.
25- م، ن، ص96 ــ97
26- م، ن، ص98.
27- م، ن، ص97 ــ99
28- م، ن، ص04.
29- م، ن، ص25.
30- ينظر: م، ن، ص13 ــ 34 ــ 42 ــ 43.
31- ينظر: م، ن، ص53 ــ 110.
32- ينظر: م، ص، 11 ــ 111 ــ 112 ــ113.
33- ينظر: م، ن، ص148.